أحماض قبل الانتخابات

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

عندما كانت أشجار النخيل في البصرة، في الحرب العراقية الإيرانية تشتعل ضفائرها، وقعتُ مريضاً، فعادني صديقي المفكر العربي فوّاز طرابلسي وسألني "ما الذي يوجعك يا محمد؟، قلتُ له: "البصرة توجعني"، ولو عاد فواز اليوم وسألني عما يوجعني لقلت له "الانتخابات توجعني".

والحق أنها توجع كل العراقيين، ولكون الوجع يعمّنا جميعاً، فلابدّ من التماس ما يخفف ضغط الدم وارتفاع مستوى السكّر وتعذر النوم الطبيعي، وهو ما يستدعينا إلى التماس ما يخفف عنها بالأحماض والتماس الطرائف التي تسهّل عبور المشاكل السياسية بانتظار ما تُسفر عنه زوبعة الانتخابات، ولنبدأ بالزمبرك المدوّر.

(لفائف الربيع) هي أكلة صينية لا يفتقر منها أي طلب من الموائد الصينية الأساسية، لكونها من المقبّلات التي تبدأ بها قبل أن يأتيك الصحن، أو الصحون التقليدية الصينية. وهي عبارة عن لفيفة من رقائق العجين التي تحتوي على خليط من الخضار أو الروبيان أو الدجاج أو ما شاء الله مما تتفتّق به رؤية الطباخ الصيني الذي يأتيك بصحن أنيق يقطّع هذه اللفائف بشكل يغري بالتناول قبل مائدتك الأساسية، هذه اللفائف التي تستقرّ على مائدتك قبل طلبها. هي حضور صيني يستدرج إلى ما يليه من أطباق لا حدود لها من الاختيارات.

على أن ما يبعث على الظرف أن هذه المسميات لهذا المقبّل اللذيذ تشترك كلها في معنى واحد بمختلف الترجمات، إلا بواحدة. فهي بالعربية (لفائف الربيع) كما أسماها الشاعر سعدي يوسف، وهي كذلك بالإنكليزية (سبرنك رول)، وبالفرنسية (رولو دو برنتون)، وكلها ترجمة متطابقة لاسم هذا المقبّل الصيني الذي لا أعرف كيف يُلفظ بالصينية، ولعل أطرف ترجمة وقفتُ عليها في مطعم الإبراهيمي في ابو ظبي قبل خمسة عشرة عاما، ووجدتها على حالها، لم تتغير قبل ثلاث سنوات، فهي (زنبرك مدوّر)، فـ (سبرنك) تعني (الربيع) كما تعني (النابض الحلزوني - زنبرك)، و(اللفائف والرول والرولو) تعني في مطعم الإبراهيمي (المدوّر)، يعني الملفوف أو المطوي.

وفي فضول مني في معرفة لفظها بالصينية افتعلت زيارة للمطعم الصيني الشهير في باريس (دراكون)، وطلبت وجبتي، وفي مقدمتها هذا (السبرنك رول)، فإذا هو (نسيته ويتعذر عليّ في برد باريس أن أعود إلى المطعم وأسأله).

وعلى ما يحمله هذا (الزمبرك) من إيحاء بطعم المعدن، و (خشخشة) بين الأسنان، وإحساس بتوقّع كون شيء ما ينبض في الفم ويوشك أن يُفلت من بين الأسنان؛ أقول، مع ذلك، يظل هذا (الزمبرك) لذيذ الطعم والنكهة، كما وجدتُ الاسم لا يخلو من طرافة، فهو يحملنا على استظراف التسمية فنبتسم لها، وتنبسط لها أساريرنا، ونُقبل على المائدة بشهية لا تضيع معها الفلوس؛ وفي ذلك من حذق الترجمة ما يفوت على ياسين طه حافظ وكاظم جهاد وصلاح نيازي وابتسام عبد الله وعدوية الهلالي وشوقي عبد الأمير وعادل العامل وأساطين الترجمة في بلادنا؛ وهو، بعد، مثل يُقتدى في فن الإشارة والتلميح الذي خلت منه فنون البلاغة العربية رغم العلاقات الثقافية بيننا وبين الهنود وأهل الصين، ومن جرى مجراهم في قارتنا الآسيوية، على مر العصور.

لفائف الربيع تحولت في أيامنا إلى لفائف الشتاء بعد أن تحولت الشوارع والبيوت والحدائق إلى فضاءات شاسعة من الثلج الجميل والمربك والتي لا يعلم إلا الله ما تحتويه هذه اللفيفة المخادعة، وما تنوي إليه.

لفلفوا أمركم بانتظار لفلفة الانتخابات، ومن الله التوفيق.

متابعة في جمعية الثقافة..

٨ شباط في الذاكرة العراقية والنص الروائي

محمد جابر احمد

أقامت جمعية الثقافة للجميع يوم الاثنين المصادف ٢٠١٠/٢/٨، ندوة بمناسبة ذكرى انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، شارك فيها الأساتذة فاضل ثامر رئيس اتحاد الأدباء والدكتور عبد جاسم الساعدي رئيس جمعية الثقافة للجميع، بحضور عدد من الأدباء والمثقفين والسياسيين الذين قدموا شهاداتهم عن انقلاب ٨ شباط الأسود، والأحداث التي رافقته، كونهم شهود عيان على ما تم من مجازر وانتهاكات قام بها البعثيون ضد القوى الوطنية والشعب العراقي بصورة عامة. قدم الجلسة الفنان قاسم العزاوي، مرحباً بالحضور ومتحدثاً عن الذكرى وما شكلته في الذاكرة العراقية من مأساة سوف يتحدث عنها الأساتذة المحاضرون الذين شهدوا أحداثها.

وبدأ الناقد فاضل ثامر كلامه بالترحيب بالحضور الكرام قائلاً " يسعدني أن أحيي جمعية الثقافة للجميع على هذا الجهد المتواصل لخدمة الثقافة العراقية باستقلالية وأن هذا الجهد يؤسس لحراك ثقافي عراقي حر، وأتمنى أن تنهض مع بقية المؤسسات الثقافية لتفعيل المشروع الثقافي في العراق" . وفي حديثه عن هذه الذكرى قال "أنا اعتقد ان ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ وما رافقها من تشكل بعض الأحزاب مثل حزب البعث، بحاجة الى إعادة دراسة موضوعية أذ ان حزب البعث هو حزب ذو طابع فاشستي، كما يجب إعادة قراءة التحالفات التي تمت مع هذا الحزب من قبل الاحزاب بما سمي يوم ذاك (بالجبهة الوطنية) مضيفاً: " ان أنقلاب ٨ شباط الأسود هو انقلاب على ثورة ١٤ – تموز ١٩٥٨ التي قامت ضد الامبريالية والرجعية والاقطاع وبعض القوى الدينية التي وقفت ضد هذه الثورة منذ بدايتها ... و ان الدلالة السياسية للأخطاء التي وقعت بها الأحزاب الوطنية العراقية والتقدمية هو تحالفها مع حزب لا يمكن التحالف معه . مؤكداً " الآن يجري الحديث عن عودة البعث، أنا ارى ان هذا الحزب يجب ان لا يسمح له بالعودة وأن بأشكال ومسميات أخرى الا بعد اعلان البراءة منه، ولكن المواطن البسيط الذي انتمى الى الحزب لا يجب التعامل معه بنفس الطريقة.. كما وأطالب ان لا يستغل هذا الموضوع لقضايا انتخابية او سياسية او طائفية، وانما يجب ان نفكر بعقلية ديمقراطية".

وفي حديثه عن الثقافة العراقية وتأثير انقلاب ٨ شباط عليها قال: "الثقافة العراقية في مجال الشعر أستطاعت أن تتفاعل مع الحدث، اما الرواية فلم تقدم مسحاً شاملاً للأحداث، وأن كتب عنها فؤاد التكرلي في رواية (الرجع البعيد) وفاضل العزاوي، والروائي عبد الله صخي في روايته (خلف السدة).

وأضاف: "ان الروائي بحاجة ان يستلهم من الشعب الذي لم ينكسر رغم كل ما جرى عليه من ظلم، حيث كانت السجون مدارس لتخريج المفكرين والأدباء وأجمل قصائد كتبها الشعراء في السجون"، وبعد ذلك جاء دور الدكتور عبد جاسم الساعدي متحدثاً عن هذه الذكرى وما حملته ذاكرته الشخصية كونه شاهد عيان على الأحداث منذ اليوم الأول للانقلاب سارداً بعض التفاصيل ومركزاً على الأبعاد التاريخية والسياسية للأحداث المؤلمة.. وجاء في كلمته " ان الحزب الشيوعي العراقي لم يكن لديه مخطط سياسي وليس لديه مقاومة تحول دون حدوث مجازر وإرهاب دموي ضده وضد الشعب العراقي بصفة عامة"، مضيفاً: "اننا بحاجة الى مراكز للبحث والتحليل لهذه الظاهرة (٨ شباط) وتبعاتها، لفهم وتحليل واقع العنف والإرهاب الذي يتعرض له الشعب العراقي اليوم"، متمنياً: "أن يصار الى دراستها بشكل توثيقي يقدم قراءة نقدية لمعطياتها " داعياً الى تكوين مراكز بحث ودراسات عن ٨ شباط و"ان الجمعية تتعهد بالمساهمة بها لخدمة الثقافة العراقية التقدمية".

وفي تناوله للرواية العراقية أكد أنها لم تعكس الواقع الذي حدث وتستثمره بشكل فني يستوعبه.

اوراق

شعرية العمر

محمود عبد الوهاب

ماذا تسمّي الالتماعات الشجاعة، حين يأنس المرء بلحظته دائماً، ولا يأسف على ما فات، ويتقحّم ما سيأتي به الغد من دونما خشية؟ هي دهشة الطفولة في أول العمر، والحلم الرومانسي لتغيير العالم وبنائه من جديد في وسط العمر، والومضات الشحيحة للسعادة مثل غمزات النجوم في ليل غائم، آخر العمر . شعرية العمر هي في ديمومة الدهشة، وهي الشباب الذي لا يشيخ، فليس الشباب زمناً معيارياً للعمر تحدّده السنوات، إنما الشباب حقاً رؤية متقدمة للعالم تتجاوز إحباط السنوات التي تخترقك، ومن هنا، ما لم يخضع العمر لقانون الشعرية بهذا المعنى، فإن المرء سيتثاءب حياته ويبصقها من الضجر.

كنا صغاراً نمتطي قصبة لا نتخيلها حصاناً، إنما نراها حصاناً حقاً، نرفع أعجازنا عن القصبة حين نسرع، ونقعدها حين نتريث في السير، وبعد جولتنا، نركن القصبة الحصان عند جدار، نشدّ مقدمها بالحبل بحنوّ بالغ .. هذه هي الشعرية الأولى من عمرنا.

في المدرسة، كبرنا، استقامت قاماتنا، غالباً ما كنّا نقطع الطريق إلى المدرسة بتصنّع، وبوقار رومانسي، وبوجوه صينية بلا انفعال، الكتب في اليد اليسرى، ونظراتنا إلى الجهة الأخرى من الشارع الضيّق، حيث تمرّ طالبات المدرسة المجاورة، وهنّ يترققنّ في مشيهنّ، وترتمي فجأة رقتهنّ في صدورنا، نحن طلاب المدرسة الإعدادية..وهذه هي الشعرية الثانية من عمرنا.

في الكلية، امتزجنا نحن وهنّ معاً في زمالة متكافئة، أحاديثنا وديّة، لكنها تتستر أحياناً، عن الإعجاب، بدثار حييّ، وهنّ يتغافلنّ القصد، وفي غرفة الصف، يلتمع زجاج النافذة بوهج الشمس، وكنّا داخل الصفّ،نصغي معاً إلى أساتذتنا الكبار، ونزداد، كل لحظة، علماً ورؤى ووعياً..وهذه هي الشعرية الثالثة.

أصبحنا رجالاً . نقرأ ونكتب، وننشر ما نكتبه في الصحف والمجلات وتُصدر الكتب، حماسنا شديد، وجدالنا حول ما نعرف وما نجهل حادّ غاضب، لا نريد أحداً يخطّئنا، نحن الذين على صواب دائماً!، أصبحتَ، الآن، رجلاً حصيفاً مثل بحر هائج ثم هدأ، والآخرون من الشباب الآن،الذين فيما مضى كنتَ قرينهم، يرتدون أرديتك، ويتجادلون بحماقاتك نفسها، إنهم أنت لكنّ شخصهم غيرك .. وهذه هي الشعرية الرابعة.

وتجنح الطائرة، وتبدأ تهبط مثل إوزّ مهاجر، وتحدّق أنت من نافذة الطائرة إلى أرض المطار وإلى منائره الدائمة الدوران، تلمح السقوف القرميزية وحقول الكرنب الحمر والصفر، وتقترب الطائرة وتلمس بعجلاتها الأرض، تدور وتدور ثم تستقر، ليل المطار موحش، وأنت داخله،كأنك تساق إلى المجهول، لكنك،وأنت، في ضحى المدينة الصاخبة، تتوغل في شوارعها وأنديتها ومطاعمها، وساحل البحر أمامك والمطر ينهمر منذ أيام "حتى كاد سطح البحر أن يتبلل"، تفتح مظلتك وكأنك إحدى الشخصيات المنفلتة من رواية مكتوبة، وبغنج، تحتمي بمظلتك من المطر، شابة متوردة الوجه . المطر ينهمرّ، وتذهبان معاً إلى مقهى زجاجي، ومن وراء الزجاج ترى العابرين يتخاطفون بمظلاتهم من أمامك، وعجوزاً متلكئة متذمرة تنظر إليك، كأنها تشتمك..وهذه هي الشعرية الخامسة.

في مدينتي، قبل أيام، كان البرد شديداً يلسع الوجوه و يقرصها بأصابعه المتوثبة، المارة مسرعون، وشاب بهيّ الوجه بقامته المستقيمة، وقميصه الخفيف الفضفاض، يتجاوزك بلا مبالاة، في تلك اللحظة، أمسكتَ بخفّة ملابس الشاب وتكاثف أرديتك، فارقَ الزمن بينك وبينه . آه يا ليفي شتراوس، أيها الأنثروبولوجي الكبير،وأنت أيضاً يا "بارت" لم علمتنا أن نقرأ علامات الأزياء؟ في تلك اللحظة والشاب يتحسس موبايله، أدركتَ أنك عشت وكنت سعيداً حتى بهذا العمر..

وهذه هي الشعرية السادسة.

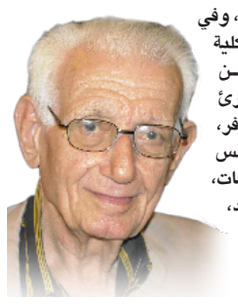

أنت على الحصان القصبة، وفي المدرسة الإعدادية، وفي الكلية مع زميلاتك المتغافلات عن مقاصد الكلام، وأنت القارئ والكاتب، والسائح و المسافر، والكهل والشيخ، إذا كنتَ تأنس بلحظتك، ولا تندم على ما فات، وتغامر بما سيأتي به الغد، أنت، إذن، ابن الدهشة والحلم، وجامع السعادات، وقنّاص شعرية العمر أبداً.

كفاءة التمويه الاتصالي للنص.. فحص استبصاري في كتاب (طغراء النور والماء)

علي شبيب ورد

هناك من النصوص ما يحكم التلقي بسحر طقسه الاتصالي، سحر الطقس هذا، يستدعي تمتع التلقي بفطنة التأمل المنصرف للتعرّف على ما وراء شبكة المثول العلامي للنص. وذلك لما تتسم به تلك النصوص من كفاءة تمويه اتصالي، والتي تمثل مفترق نوازع الذائقة. حيث نفور الذائقة غير الكفوءة، وتواصل الذائقة القادرة على استدعاء الخزين المعرفي لذاكرتها، والذي تخصبه حتما مرجعياتها الثقافية. وقد عودنا الشاعر(عبد الزهرة زكي) على منح النص طاقة سحرية تخصب الطقس الاتصالي، بانفتاحه على عوالم لها ملامح غرائبية نوعا ما. فهو يعمد الى استدعاء رموز ذات ثراء ايحائي، ويعالجها بنائيا، كيما تتحول الى موجهات مؤثرة في حركة أنساق النص(العلاما/ ثيمية). وهذه الرموز المستلة من الموروث، تستحيل في نسيج النص الى أقنعة جمالية، تمور من تحتها مرامي النص الواخزة لمجريات الراهن. وجُل ما يعنيه في سعيه هذا، أن يحتفظ النص بخلوده الاتصالي، عبر منظومة بث تتوهج بمفاتن أنساق التلاقح الخصب بين مجريات الفائت والراهن استشرافا لمجريات الآتي.

المتابع لمنجز هذا الشاعر منذ كتبه(اليد تكتشف١٩٩٣) و(كتاب اليوم.. كتاب الساحر١٩٩٩) و(كتاب الفردوس٢٠٠٠) وحتى هذا الكتاب الماثل للفحص. يتفق معنا في أن الشاعر لا يرى في كتابة القصيدة مجرد استجابة حسية لهاجس عابر، بل هي جهد(حسي/ ذهني) مرير، على تضاريس الاكتشاف الوعرة.

عنوان كتاب(طغراء النور والماء) الصادر عن دار المدى للثقافة والنشر/ ٢٠٠٩ يعلن انتماءه لبلاغة الصورة. فالطغراء أيقونة تشكيلية بامتياز، تنفتح على عالم حراك صوري مبعثه تلاقح النور بالماء. وهذا الاشهار في التركيب اللغوي، يفضي الى انزياح دلالي صوب ثيمة الخليقة الكونية، بالافادة من جمالية التمازج الفيزيائي بين مكونات الطبيعة، لانتاج صور الخليقة الكتابية. أي أن العنوان يضعنا على عتبة مشغل ينتمي الى بلاغة الصورة القائمة على المقاربة المنتجة بين مجريات الطبيعة ومجريات النص، لتحقيق خصوبة الطقس الاتصالي. والفحص التنقيبي في عتبات ومتون الكتاب، يتوصل الى الرموز الموجهة لحراك الأنساق، والعاملة كشفرات مؤصلة للنسيج الكتابي مع الموروث(الطغراء/ نهار عباسي/ الخاتم/ الملاك/ الهدهد/ العاصفة/ الطوفان/ البئر/ الكتاب المسموم/ الناي المسموم/ البومة/ وسواها) وهذا الاستلال من الموروث، قائم على ترصيع أنسجة المتن الكتابي بأيقونات محرضة للمناخ الأسطوري في أنساق النص. وبهذا يبتعد بنا الشاعر عن المواجهة المباشرة مع الصورة الشوهاء للعالم المعيش، صوب صورته المفترضة في النص. في جزء الكتاب الأول(نهار عباسي) تبدأ لعبة الشاعر الكتابية، إذ يتحول الى سارد شفيف لحكايات، عن حبيبته الجميلة(بغداد) تلك المدينة التي لم تتمكن المتغيرات من تشويه صورتها في مخيلته(يطلع من خاتمك الأزرق/ نهارُ شتاء مشرقيّ./ ذلك هو اصبعُكَ البيضاء) وكذلك الى واصف مقتصد لأمكنة متخيلة، يبدو فيها المتن ككائن خرافي نصفه معقول والآخر غرائبي. وكأنه يواسينا بمواربات الجميلة، آخذا بنا الى عوالم متخيلة، يربت على أكتافنا، لعله يخفف من وطأة معاناتنا جرّاء شراسة عالمنا الراهن، الذي يحاول أن يشوه سفر حبيبته المشرق(شمسٌ خفيفةٌ/ على أكتاف القيان من روما/ يضوّعنَ بالخمرة/ على نَهار فتيّة مصطبحينَ/ برنة عود/ وبكلام/ من عمّربن أبي ربيعةَ/ وبعطرٍ من أصبعك البيضاء/ يثملون به).

والاهداء يُشير الى المحرض الأول لانجاز هذا الكتاب والذي تتحايث شخصيته مع شخصية منتجه، بوصفهما خلين معرفيين، فرّقهما موت أحدهما الشاعر(رعد عبد القادر). لذا تتعدد هيئات وجود(الشاعر/ السارد) الموجه لحراك أنساق النصوص، بين تخف وظهور وفق لعبة انبثاقات متنوعة في البنيةً المشهديةً. وما يحسب للشاعر، رغم وفائه لوحدة الموضوع والمناخ العام، هو تمكنه من اغواء المتلقي- بتقانة مشغل بليغة- على مرافقته في رحلات نسقية طاردة للرتابة الجالبة للملل. وفي هذه الرحلات، يجري خرقا زمكانيا، يفضي الى تمظهرات مناخية مربكة لأفق التلقي، ومحرضة لاستجابات جديدة قائمة على الاستبصار التأملي للنص ومن ثَمّ العالم. كما تظهر شخصية الشاعر أو خله، بلبوس وأقنعة لشخصيات أخرى متخيلة مستلة من الفائت، تهدف لمنح شخوص النص بعدا أسطوريا، منظومة الفائت، نشداناً لكفاءة منظومة بث النص(في الظلام/ سقطت/ نجمةٌ وحيدةٌ/ من فم الهدهد/ فوق لوح طاف،/ لوحٌ/ من سفينة أهلكها الطوفانُ،/ سُقطتْ النجمةُ الوحيدةُ/ لتنسجَ/ لحنا غامضاً/ على نول قديم) والكتاب برمته يشي بابتعاد الشاعر القصّدي، عن تناول صور الراهن المنضدة في مخيلته كما هي، ساعيا لادخالها في عمليات مختبرية طاعنة بالحرص. وسعيه هذا، يرمي لتوخي الحذر من مجارات التناول النصي المشوب بالتشابه والتكرار، الذي درج عليه غير المجتهدين في مواجهة وعورة تضاريس البياض. غير أنه للخروج من هذه المواجهة المضنية موفقاً، استعان بمتحف ذاكرته الخيالي-حسب كما يتبين ذلك في هذا المجتزأ(وحتى إذا بَلَغَتِ الحمامةُ شيرازَ/ وبلَغَ الكتابُ الشاعرَ/ فضّهُ../ مات./ مات الشاعرُ/ وظلّت الشعرةُ الذائبةُ/ في لجين خاتمك،/ وقد مهرَ الكتابَ،/ تطلعُ وردا أسودَ/ يشرقُ على رابيةٍ/ في أرض شيرازَ/ حيثُ دُفنَ الشاعر).

في مفتتح جزء(رواية الهدهد) نصّ الشاعر على ما يلي(كان ذلك ما قد رواه الهدهد..) وبجملة الوصل هذه إشارة لما قبلها(نهر عباسي) ولما بعدها(رواية الهدهد) التي فاهَ بها وشرع يسرد تفاصيلها(حينما حطّ على الشجرةِ،/ وحينما وقف تحت ظلّها ملاكُ/ هو ملاك وهو فقير) الهدهد طائرٌ رويت على لسانه حكايات أسطورية شفاهية ومدونة حفل بها الموروث، والرواة الأوائل، أغرتهم عزلة هذا الطائر ووحدته على الشجرة، فراحوا ينسجون رواياتهم على لسانه. بهذا التناص الاستعاري، يرسم لنا الشاعر(عبد الزهرة زكي) صورة وقوفه أمام شجرة الحكمة، ناهلاً من طائر الحكمة نصوص جزئي الكتاب. وبلعبة التناص هذه ينال الشاعر جدارة انتماء نصوصه للشعر المعرفي، وذلك بتآزر متوازن بين قطبي العاطفة والفكر، لاخصاب الخلود الاتصالي.

والملفت للانتباه في هذا الكتاب، هو عناية الشاعر بصياغة جملة شعرية ذات تركيب لغوي يتسم بغنائية منسابة من أعماق الايقاع الداخلي. وهذه الغنائية مدعومة بحرص الشاعر على الافادة من خاصية(التكرار) بنوعيه المتباعد والمتصل في مثوله ضمن وَحدات النص. وبذلك حقق بلاغة الصورة الشعرية، عبر تصاعد الايقاع الداخلي للجملة- في حراكها صوب اكتمال المعنى- بتموجات غنائية تنساب مع النسق. غنائية تبدو وكأنها آتية من عصور غابرة خبرَتْها أحاسيسُ الشاعر، المنشغل بتفكيك منظومة الراهن، وإحالة أجزائها لمقاربات مع أجزاء مالرو- ذلك الخزين العامر بذخائر ثقافية شتى. ولَشدّ ما يناور في تشكيل مشهده الصوري، عابراً شباك اليومي والمباشر، بتخليقات نسقية، باعثة على التبصّر في إحالاتها الخصبة(رأى الفقيرُ صورتَهُ/ ملفوفةً بالحرير الأسود/ ومدثّرة/ بالنسرين وبالرعد/ صورتهُ/ هو الجسدُ اليابسُ/ ينبَثق/ من بوقٍ/ صُنِعَ في ظلام المياه).

وهوَ كما عهدناه لا يغادرُ(ثقانة المونتاج) كسياق كتابي، حتى يتبدّى لنا أننا أمام(مونتير) بخيال شاعر، إذ ينتقي من حصاد لقطاته، ما يخدم فلمه الشعري. وكما يبدو أننا نواجه مخيلة شاعر تعجُّ بالكاميرات وهي تجني أنفس اللقطات، التي تجري لها منتجة مضنية، وصولاً لانتاج سيناريو شعري بليغ. تستحيل فيه الكلمة لقطة، والجملة مشهدا، والمقطع جزءا، والمتن عرضا، إذ تمتزج فيه مهمة الشاعر بالمونتير، في عرض شعري درامي مؤثر.

عرض يستلّ دواعي دهشتنا بغرابة عوالمه، تلك المشكلة بفطنة راء، ودربة مشتغل مًا غادر بأسه، في مقارَعة أهوال زمن الكتابة. ترى أية بصيرة هذه، وهي تخاتل فرنَ الراهن العراقي الداحض للوساسة، في عزلة مُسترقة، بين رواسي ماس الكلمات المتناثرة في ورشة شعرية؟!! كيما تواجه قبح فوضى العالم بجمال منظومة النص، وفق سردية صور شعرية تتبارى في كشف مكابرة منتجه على مغريات منافع الشعَر الانفعالي السائد(على فصّ خاتمه الأزرق/ وضعَ طغراءَ النور والماء/ طغراء/ تشف عن أمواج/ تبرق من قصيدة/ عن الطبيعة والجمال والحكمة/ لم يُتمّمْها/ وعن قلب فراشة/ طائرة من جملة موسيقية/ تتموّجُ على وجه البرق).

في هذا الكتاب يبدو لنا الشاعر(عبد الزهرة زكي) وقد استقل(منطقة هادئة) منعزلة عن المناخ الاتصالي الصاخب، الذي فرضه الراهن العراقي الطاعن بضجيج فوضاه. وهي لمغامرة جديرة بالاشادة، لما يساورها من مدارات نفور من قبل المتلقي. الذي استشرت فيه جبلة الاطمئنان للنص المتلائم مع الطقس الاتصالي المألوف، في مباشرته وانفعاله ورنينه الصاخب. بانَ الشاعر، كما معتزلي نأى زاهدا، عن حياة صاخبة بنوايا حيوات الغاب، قاصدا خلاصه الروحي في مواجهة معرفية مع المطلق. إنه وتحديدا في جزء(رواية الهدهد) يقوم برحلة تنقيبية في رحاب الموروث بحثا عن تعالقات نصية، تخدم ستراتيجية مسعاه في تخليق جسد شعري بروح المثيولوجيا. والشاعر بهذا النهج الموارب، يعرض لنا مجريات الراهن، ولكن على طبق من ثمار الميثيولوجيا. فهو يرسم لنا صورة موحية لمآل الراهن العراقي، ولكن بمهارة المجرب التي جنبته الوقوع في فخاخ الاستجابة الانفعالية قصيرة النظر(مضت العاصفة بالأمواج،/ وقد خلّفت الأمواجُ شجرةً،/ جسداً يابساً../ يشفق فيَ السديم المهول/ لأغصانه العظيمة/ على عش بومة طائرة/ تطبقُ في فمها/ على ورقة صفراءَ). وما نلمسه في المجتزأ هذا، هو استعارة صورة نهاية الطوفان-بنسخته السومرية- حيث البومة هي التي حملت نبأ وجود اليابسة. وليس الحمامة، التي وردذكرها في الروايات اللاحقة، وحسنا فعل الشاعر، فالبومة تمتلك بصراً حاداً في الظلام الحالك، سيما وأن الطوفان خلق ظلاماً كونياً مهولا، وليس من المعقول أن تبصر خلاله الحمامة وتميز بين الأشياء. من جانب آخر، فهي تحمل مدلولا رمزيا يخدم رؤية الشاعر الفلسفية، لأن حدة البصر تحيلنا الى منطقة البصيرة، والتبصّر الذي يكشف عمّا وراء الظواهر.

وهو باندفاعاته التنقيبية في طوفان المجريات وتداعياته، التي تشظت في المتون الى بنيات نسقية شتى، يستبصر المقصي واللامرئي والصامت. عبر منظومة بث شعري غير مكتملة، ولن تنال اكتمالها بالقراءة، بل في تعددية نصوص التأويل، التي هي واحدة من أهم اشتراطات لعبته الاتصالية. ففي هذا المجتزأ، الذي يفضح طوفان الراهن العراقي وهو يضع بصماته المرعبة على شتى مواطن الجمال والفتنة، نلمس نسيجاً كتابيا ينضح صوراً مشرعةً على تأويل شتى(يسمعُ في الظلام موجاً./ ويسمع في الموج رمالاً/ تسفُّ./ ورقٌ مَيّتٌ في كفه../ يذروهُ على وجه الريح،/ فيكفُ هياكل الطيَر).وهكذا سياق كتابي، مبعثه خصوبة رؤية فلسفية لاكتناه جوهر الشعر، في أسئلته الواخزة لسفر الوجود، وانزياحاته الطائنة بسفوح وقمم القداسة، وتأملاته الخارقة للغياهب والعتم. فلسفة تمنح الشعر ثراءه الاتصالي، عبر تلقيحه بجرعات معرفية، تحرض أنساقه الأفقية والعمودية لانتاج عوالم نصية مربكة لأفق المتلقي، ليعيد حساباته من جديد. فالشعر الآن غادر منطقة تبعيته لخطاب السلطة، وبات يجوب تخوم قصية وغير مألوفة ولا نهائية، منتصرا لحرية الانسان في بحثه عن أجوبة مقنعة عن كنه الوجود. كما أنه فتح خطوط تخادم مع مرجعيات ومجاورات ثقافية شتى، وتشعبت مسارب تجاربه ومغامرات منتجيه، نشداناً لتلافي تكرار التجارب الكتابية المحانية والفائتة. وتقانة الشعر الحديث حولته الى حاضنة خصبة لتناول أكبر وأخطر الأسئلة الفلسفية المتعلقة بالوجود والعدم، من خلال القناع الجمالي الذي توفره له تلك التقانة.

إن الشاعر بعد رحلته الاستكشافية في رحاب الميثيولوجيا، والتي عمد فيها الى إجراء مقاربة رؤيوية لطوفان المجريات الفائتة والراهنة، منحنا فرصة للتأمل في احتمالات الآتي. وذلك عبر خطاب شعري يتخادم فيه الحسي والذهني، لتحقيق كفاءة بث اتصالي، عابرة لفخاخ اليومي، صوب خلود قرائي محتمل(لا ظل.. فيظلله/ لا بيتٌ.. فيؤويه./ هذا البناءُ مسمومٌ/ وهذه الطيرُ تموت./ قالَ الملاك،/ وأومأَ بيدٍ/ على شجرة جرداء،/ وأومأ بأخرى/ على قلبه.).

حسناً فعل الشاعر وهو ينأى بمشروعه، عن ضجيج السرب، راكبا غيمة رؤاه، وهي تنث على مكتشفاته بأمطار روحه المتطلعة للتفرّد. وعبر تطلعه الروحي هذا، يبتكر لنا عالم النص المعادل والمستعيد- في آن- لعالمه المعيش الذي خربه طوفان المجريات المدمر. مررنا بطغراء الشاعر وهي تقارب بين الخيالي والأرضي(الملاك/ التراب) عبر لغة مشحونة بثراء قاموسه الشخصي والبيئي، المعروف عنه.

لغة موجزة ومكثفة وموحية في إحالاتها الدلالية، لعوالم قصية غير منظورة، إلا لعدسة مخيلة باصرة، نجحت في تصوير لقطات سيناريو شعري ساحر، والذي قرأناه بلهفة ممتعة، منذ ولوجنا بوابته الخلاقة(طغراء النور والماء) حتى إيماءة الملاك (الشاعر) بيده الأخرى على قلبه.